

نص سيموند فرويد

## البنية النفسية الثلاثية للشخصية

إن الأنماضط لأن يخدم ثلاثة من السادة الأشداء، وهو يبذل أقصى جهده للتوفيق بين مطالبهم. وهي في الغالب مطالب متعارضة والتوفيق بينها مهمة عسيرة إن لم تكن أقرب إلى أن تكون مستحيلة. فليس من الغريب إذن أن يفشل الأنماض في غالب الحالات في مهمة التوفيق هاته. وهؤلاء المستبدون الثلاثة هم:

(١) العالم الخارجي

(٢) والأنماض على

(٣) والهو.

ونحن عندما نتابع المجهودات التي يقوم بها ( الأنماض ) بقصد الاستجابة لهذين النوعين من المطالب في وقت واحد، أي بطاعة أوامرها في نفس الوقت، فإننا لن نأسف إذا ما كنا قد شخصنا هذا الأنماضقدمناه حالة خاصة. فهو يحس بأنه معرض لثلاثة ضغوط ومهدد من طرف ثلاثة أنواع من الأخطار يكون رد فعله عليها، عندما تشتد معاناته منها، هو توليد نوع من القلق. فهو، من حيث أنه نفسه نشأ نتيجة التجارب الإدراكية، يتوجه إلى أن يتمثل متطلبات العالم الخارجي لكنه يود أن يكون بنفس الوقت خادماً للهو، ومتصالحاً معه و مع حاجاته المستمرة للإشباع ... إن الأنماض، في مجهوده من أجل التوسط بين اللهو والواقع، مضططر دوماً إلى أن يمتهن على أوامر اللاشعور بتبريرات متعددة، وإلى التخفيف من صراع الهو مع الواقع، عن طريق نوع من التمويه الدبلوماسي والرياء والظهور بأنه يأخذ الواقع بعين الاعتبار ويراعيه، حتى ولو ظل الهو جموحاً ومتصلباً في مطالبه الملحة على الإشباع. ومن زاوية أخرى، فالأنماض هو محظوظ رصد من طرف الأنماض العليا الذي يفرض عليه باستمرار المعايير التي يتعين عليه اتباعها في سلوكه دون أن تهمه العوائق و الصعوبات الآتية من الهو ومن العالم الخارجي . وإذا ما عصى الأنماض أوامر الأنماض العليا وتعليماته فإن هذا الأخير يعاقبه بأن يسلط عليه مشاعر التوتر والقلق التي يشكلها لديه الإحساس بالدونية أو بالذنب.

وهكذا يصارع الأنا وهو محاصر بين ضغط الأنا الأعلى ومطالب الـهـو وـقـوةـ الـوـاقـعـ ، من أجل ينجز مهمته في إحداث نوع من التوافق والانسجام بين هذه القوى والتأثيرات المتقابلة داخله والمؤثرة عليه من الخارج.

(هذا النص من كتاب سigmوند فرويد. المؤتمرات الجديدة ١٩٣٢ تردد. الأب. زيتلين باريس  
S. Freud : Nouvelles conférences 1932 trad. Fr. Zeitlin Paris (١٩٣٦)  
1936)

## ١ - التعريف بالنص:

يندرج النص في إطار الاهتمامات المختلفة لنظرية التحليل النفسي مع عالم النفس النمساوي. فرويد الذي حاول دراسة شخصية الإنسان بصورة مغايرة تعتمد طابع أكثر دقة وعملية فكيف تعامل فرويد مع هذا الموضوع؟

## ٢ - التعريف بفيلسوف النص

ولد سigmوند فرويد في فرايبورج وهو يهودي نمساوي ارتبط اسمه بتأسيس التحليل النفسي تلقى تعليمه في مدينة فيينا في علم الأعصاب وتحت تأثير الطبيب الفرنسي "شاركو" والطبيب "بروير" اهتم بالجوانب النفسية للإنسان وطور أبحاثهما من أهم مؤلفات فرويد:

محاضرات تمهدية في التحليل النفسي سنة ١٩١٦ . -

تفسير الأحلام ١٨٩٩ وهذا من أشهر الكتب. -

الوطسم والطابو مقالات في علم النفس الجماعي . -

ذاعت أراء فرويد بعد هجرته إلى إنجلترا مع بداية الحرب العالمية الثانية بعدما ضيقـتـ النازـيةـ الخـناقـ علىـ جـلـ الـعـلـمـاءـ وـالـفـلـاسـفـةـ اليـهـودـ خـلـالـ هـذـهـ المـرـحـلةـ، لـعـلـ أـهـمـ نـظـريـاتـ فـروـيدـ عـلـىـ الإـلـاقـ نـظـيرـةـ

اللاشعور التي فسر بها السلوك البشري غير السوي، فعوض أن يعتبر هذا السلوك لا معنى له اتجه نحو البحث في الظروف المنتجة له وقال انه سلوك يعود إلى التجربة الجنسية لمرحلة الطفولة، من هذا المنظور اقترح فرويد مفهوم اللاشعور كفرضية لا يمكن بدونها فهم الصلة بين مرحلتي الطفولة والبلوغ. وبعد رحلة دامت حوالي ٨٣ سنة توفي فرويد سنة ١٩٣٩.

### ٣- الهدف من النص

في هذا النص يحاول فرويد طرح إشكال عام كالتالي:

- (١) ماهي العناصر الأساسية التي تتبنى عليها الشخصية؟
- (٢) وما هي الصيغة العامة التي من خلالها يمكن تحقيق التوازن؟

### ٤- الهدف من النص

يرى فرويد في تصوره أن شخصية الإنسان هي عبارة عن صراع دائم بين مجموعة من الغرائز (اللهو) والمثل الأخلاقية (الأنما الأعلى) وأيضا ضغوط الواقع الاجتماعي، لذلك فالأنما هو نتاج للتوازن والتوفيق بين هذه القوى متلما هو أداة تحقيق هذا التوازن والتوفيق، لذلك فوحدة الشخص وحدة دينامية عسيرة ولا متناهية التتحقق.

### ٥- بعض المفاهيم الواردة في النص

اعتمد فرويد على مفاهيم أساسية أهمها: \* الأنما \* الأنما الأعلى. \* اللهو. \* اللاشعور.

### ٦- تفسير النص

- يرى فرويد أن الإنسان دائم الصراع بين عناصر ثلات ليحقق التوازن ومحاولة التوفيق بينهما.

- التأكيد على أن هذا الصراع في غالب الأحيان ما يكون محاصر بين ضغط الأنما الأعلى من جهة ومطالب اللهو والواقع من جهة ثانية.

## ٧- قيمة النص:

إن قيمة النص تكمن بالدرجة الأولى في كونه يقدم لنا تصوراً تفسيرياً لمجموعة من العناصر المشكلة لشخصية الفرد، وبالتالي فالرهان لدى فرويد كان هو محاولة وضع تفسير دقيق لكيفية حدوث هذا التوازن.

## ٨- النتائج التي توصلنا إليها

إن أهم ما يمكن أن نحتفظ به من خلال نص سigmund Freud هو عنصرين أساسين:

(١) لا يمكن أن تكون الشخصية سوية بالشكل المطلوب إلا حينما تحاول التوفيق بين أبعاد الشخصية الثلاث.

(٢) ثم أن هذه العلاقة حسب فرويد هي علاقة صراع بالدرجة الأولى.<sup>(١)</sup>

## نص فرويد حول الدين

الدين عصاب جماعي ... وهكذا فأنا في تناقض معكم عندما تقولون إن الإنسان لا يستطيع بصفة مطلقة أن يستغنى عن العزاء الذي يقدمه له الوهم الديني، وإنه بدونه لا يستطيع تحمل ثقل الحياة والواقع الفظ. نعم، ذلك صحيح بالنسبة لرجل طبعتم في ذهنه منذ الطفولة هذا السُّم الحلو أو السُّم الحلو والمر. لكن ما شأن الآخر، ذاك الذي تربى في الاعتدال والرصانة؟ ربما لن يكون، ذاك الذي لا يعاني من أي عصاب، في حاجة إلى السكر حتى ينسى ذلك. دون شك إذن،

سيجد هذا الرجل نفسه في وضعية صعبة، سيجد نفسه مجبراً على الاعتراف لنفسه بكل ضيق، بضالته في مجموع الكون، لن يكون كما كان مركز الخلق، موضوع الاهتمام الحنون لعنابة إلهية مجانية. سيجد نفسه في وضعية طفل غادر بيت الوالدين، أين كان يحسّ نفسه في رغد وأين كان يشعر بالدفء. ولكن أليست الصبيانية مرحلة مقدّر تجاوزها؟ فالإنسان لا يستطيع أن يبقى طفلاً بصفة دائمة، إذ يجب عليه أن ي GAMER أخيراً في كون عدواني. ويمكن أن نسمى ذلك «التربية في اتجاه الواقع» ولن أكون في حاجة لأقول لكم أن هدفي الوحيد من كتابة هذه الدراسة هو أن ألفت الانتباه إلى الضرورة التي تفرض تحقيق هذا التطور.

## تحليل النص

عندما يتعلق الأمر بالمقدس ( الناحية الدينية ) يمتنع الإنسان العالمي عن الحديث عنه بلغة خارج صيرورة التقديس إذ هو لا يقبل مناقشة الفكر الديني، بل انه ينفعل وتكون ردوده عنيفة إزاء كل تفكير نceği يسعى إلى فهم المقدس فيما موضوعياً. وهذا السلوك في التعامل غير غريب على الإنسان العالمي إذ أن المقدس هو قبل كل شيء تجربة انفعالية تتजذر في اليومي. لكن المفكرين العقلاً نيين لا يجدون حرجاً في البحث في أسس هذا المقدس وفي الوظائف التي يضطلع بها، بل إن البعض منهم على غرار فرويد في هذا النص المقتطف من " مستقبل وهم " يذهب إلى درجة التشكيك في الرؤية الدينية،

حيث يقر فرويد أن الدين عصاب جماعي على الإنسان أن يشفى منه. فما هي وظيفة الدين إذن؟ هل انه رؤية تعبّر عن واقع مرضي يجب التخلص منه أم انه منظومة رمزية تمثل ضرباً من المعانقة

الروحانية للعالم؟ ثم هل يجب فعلا التحرر من الدين أم أنه يضطلع بوظيفة تجعله أحد المنظومات المشكلة للإنساني بحيث لا نستطيع تجاوزه؟ يتعلق الأمر بالنسبة لفرويد بالتخلي عن القلق الطفولي وأن يتربى الإنسان في اتجاه الواقع لكي يصبح سيد قدره. لذلك يعلن فرويد منذ بداية النص انه ينافق بصرامة أطروحة تقضي بأن الإنسان لا يستطيع العيش دون العزاء الذي يقدمه الدين لأن الوجود، فالدين حسب فرويد هو اعتقاد وجدي ناتج عن الرغبات الإنسانية ويرتبط بالإيمان بالألوهية. والاعتقاد في الله، حسب فرويد، يتأسس ضد الألم،

إذ أن الإنسان يتعلق بوهم، باعتقاد ناتج عن الرغبة، اعتقاداً يؤسس له نسقاً سيكولوجياً حامياً. فمن خلال الدين يتثبت الإنسان القلق بأب حازم، قويٍّ وقدرٍ. ذلك أن فرويد يصف الحياة بالقلق، فالواقع في الإنسان يجد نفسه في هذا العالم متربوحاً لوحده بفظاظة، وحالة القلق هذه تميّز مرحلة الطفولة التي تمثل بمحيطها مناخاً خصباً لزرع الخوف فينا. هذا يعني أن فرويد يقر بان الظروف التي يوجد فيها الإنسان والتي يفرضها عليه العالم الخارجي هي ظروف صعبة، ودون دين لا يستطيع الإنسان أن يتحمل هذا العالم الخارجي العدائي والصعب، تلك هي على الأقل الأطروحة التي يتبناها هنا مناقضي فرويد، فالدين يواسى، يعزي ويحمى، ذلك أن صورة أب قويٍّ وقدرٍ تبعد مخاوف الطفل وقلقه. غير أن الدين بالنسبة لفرويد هو سُمٌّ، مادة قادرة على تعطيل أو حتى قطع الوظائف الحيوية للجهاز العضوي. فالدين خطير، سُمٌّ حلوٌّ ومرٌّ في نفس الوقت فهو يمثل مادة غامضة تطمئننا وتعمّرنا، إذ يبدو كالوصفة السحرية. ومن اعتقاد على هذا السُّم المعاكس ذي الفضائل الغامضة والمترافقه في طفولته لا يستطيع أبداً التخلّي عنه لأنّه يمكنه من الإفلات من الإحساس المميت بالقلق الطفولي.

ولبلغة فرويد من اعتقاد على هذا السم لن يشفى أبداً من الطفولة وما طبعته فيه. ولكن على خلاف ذاك الذي يكون في حاجة لكي يعيش، إلى سم أو مهدئاً، اكسيرا لينعشه ولكن يحطمها في نفس الوقت، يرسم فرويد صورة ذاك الذي تربى في الاعتدال والرصانة. أن نترى في الاعتدال والرصانة هو أن نترى في حضن نوع من التمنع دون كحول وباترلن، نوع من صفاء الذهن وصفاء الجسد. مما هو حال الرجل الذي لم يعش طفولة في الاعتقادات، ذاك الذي لا يعنيه من أي عصاب والذي لم يكن متقللاً بأوهام محبذة وخطيرة؟

انه ليس في حاجة إلى السكر يقول فرويد، حالة اعتدال اصطناعية ينتجها خمراً أو سماً، ليعيش ويقتل عُصابه، حتماً إن هذا الرجل الذي تربى دون خمر، الذي تربى في الاعتدال والرمانة وفي الواقع بعيداً عن كل وهم، سيكون مجبراً على الاعتراف بقلقة، بإحساسه بالوحدة وبإحساسه بأنه متروك وبالتالي بضعفه في الوجود، سيعرف بأنه كائن إلى الموت وبضالته في خضم عالم لا متناهي، سيكون مجبراً على الاعتراف بكونه "عدم بالنسبة إلى اللامتناهي" على حد عبارة "باسكار". بدون أب قوي، أي دون إله لن يشعر هذا الرجل بكونه محمياً من قبل العناية الإلهية، هذا الفعل الحكيم الذي يدبر العالم ومجمل الخلق سيكون بمثابة الطفل الذي غادر بيت الوالدين لأن الدين والإله يجسدان حسب "فرويد" الأب، مما الله إن لم يكن أباً محولاً بواسطة التصعيد؟ دون دين يفرغ الإنسان من قوة أبوية أولية وحامية وهذه الطريق وعراة فالإنسان دون مقدس يجد نفسه في وضعية صعبة، فريسة القلق والحيرة، خبزنا اليومي وقدرنا في هذا العالم.

لذلك يرى فرويد أنه على الإنسان أن يفلت من الوهم الديني وأن يصبح كهلاً حقيقياً فلا يجب أن يعيش مأساة الظروف الإنسانية بتصالح مع الواقع والوجود منجز في الخيال. ذلك أن مرحلة الصبيانية يجب تجاوزها، يجب أن نتجاوز حالة الفرد الذي هو في سن الكهولة وله خصائص فيزيولوجية أو نفسية ترتبط بمرحلة الطفولة، لذلك يجب استبعاد الصورة القوية والساهرة لألوهية حامية، والإنسان عليه أن يدخل في العالم الواقعي في كون عدواني لأنه محروم من قوة الولي لا صديق له ولا عناء الإلهية. أن يكون كهلاً هو أن يفلت الإنسان من الأوهام التي ترتبط بضرورة وجданية إذ يتعلق الأمر بالنسبة لفرويد بإنتاج تربية في اتجاه الواقع،

خلق مسار نطّور به عند الإنسان قدرات أو خصائص تراعي الواقع، تراعي الظروف التي يفرضها العالم الخارجي. هنا يندرج المشروع الفرويدي الذي يقتضي تطهير الإنسانية من الوهم الديني لذلك يجب استبعاد صبيانية الاعتقاد في العناية الإلهية وتربية البشر في اتجاه الحقيقة، في اتجاه الواقع، في اتجاه الصعب والعقلاني. وعندما يعلن فرويد أنه يهدف إلى أن يبيّن الضرورة في تجاوز الإنسان لصبيانية لا يجعل من نفسه فقط طبيباً معالجاً بل وأيضاً مريضاً للإنسانية. وهذا فإن فرويد يقوم في هذا النص بنوع من التشخيص التحليلي للعقل الديني وهو يلحّ خاصة على الضيق الذي تتجرّز فيه الحاجة إلى الديني، إذ يجذّر فرويد الدين في مستوى نفسي فالإحساس الديني والدين بأسره يتأنّى عن

وهم وعن رغبات لا واعية للإنسان ففي مقابل صعوبة الحياة، في مقابل الألم وخاصة في مقابل الموت ينحت الإنسان اعتقاداً معزياً يمكنه من الحياة. ومزية فرويد تتمثل في كونه كشف عن هذا البعد السيكولوجي للدين فالإنسان يعبر عن حاجته للحماية في كامل ردهات حياته ومن هنا تنتج فكرة الإله، العقدة الأبوبية وال الحاجة إلى الحماية تمثل المبادئ النفسية التي تمكنا من فهم ماهية الدين الذي يضطلع بوظيفة تلطيف قلق الإنسان فيعده بالبعث وبالجزاء وبأوهام أخرى معزية،

وباختصار إن الدين لا يتجذر في الخطأ ولكن في وهم وجذاني عاطفي إذ هو وهم فاعل بالنسبة لمن ترى في غير اعتدال ورصانة، هو عصاب على الإنسانية أن تشفي منه. قطعاً أن فلسفة الأنوار سبقت فرويد في هجومها على الدين ذلك هو شأن "فويرباخ" Ludwig Fuerbach في كتابه "ماهية المسيحية" (١٨٤١) يبيّن أن الدين هو "داخلية الإنسان المسقطة في الخارج" ففي الإله يسقط الإنسان ماهيته الحقيقة و بالتالي في كلّ مرّة نثري ماهية الله نفر الإلهان و الدين في هذا المنظور ليس في نهاية المطاف إلاّ علاقة الإنسان بذاته، لذلك على الإنسان حسب "فويرباخ" أن يقلب الدين وأن يستعيد ماهيته المغتربة وهو تقريراً ما يقوله "فرويد" فالإنسان عليه أن يصبح راشداً. "ماركس" أيضاً غير بعيد على فرويد ينفي كلّ وظيفة إيجابية عن الدين ويعتبره تعبيراً عن الأيديولوجيا السائدة التي تسعى إلى تكريس الوعي الزائف للمحافظة على مصالحها، فالدين "أفيون"، "مخدر"، يمنع الطبقة الكادحة من الوعي بواقعها المزري والثورة عليه لذلك لابدّ من تحطيم الوعي الديني لتحرير الإنسان من كل أصناف الاغتراب والتتميّط. لكن عندما تنحّص الأمر ونتأمل حضارتنا المعاصرة نتبين أن تجاوز الرؤية الدينية ليس أمراً هيناً فحضارتنا اليوم تتسم بعودة الدين حتى في البلدان الغربية أين يبدو الدين في خسارة يعود الدين في فترات ويقوّة، عودة الحسّ الديني تقتضي منا ألا نرى في الدين مجرد وهم يغرينا أو أفيوناً يلهينا.

وذلك ما يسعى "E.Cassirer" إلى إبرازه عندما بين أن العالم الإنساني تمكن من تحقيق نقلة نوعية مكنته من التميّز نهائياً عما سواه حيث أصبح الإنسان قادراً على أن يكيف نفسه بحسب مقتضيات المحيط الذي يعيش فيه ذلك أن الإنسان عند كاسيرر أنتج لذاته واقعاً خاصاً به، واقعاً يقوم على وساطة الأنظمة الرمزية وقدرة الإنسان على الترميز أي على أن يتواصل بواسطة هذا الجهاز الرمزي الذي ينتاج دلالات يشكل بواسطتها معنى العالم جعله يتميّز عن بقية الكائنات ويتحدد كائن

بيوتفافي، وهكذا يمثل الدين في منظور "كاسيرار" منظومة رمزية تضطلع بوظيفة روحية وينتج من هذا المنطق تشكلات رمزية لا تختلف من حيث قيمة مصدرها الروحي عن رموز الذهن. فالدين من حيث هو صيغة ديناميكية للترميز،

يحيل إذن إلى زاوية نظر روحية معينة، إذ هو محاولة لتحويل العالم السلبي، هو أحد الشروط التي تجعل تمثل الواقع الخارجي ممكنا، فالدين ليس عاماً مرضياً ذلك أن المقدس هو تجربة تحول إلى أن تتواصل في تمثالت وفي مقولات ثقافية. وتجربة المقدس ليست أفيوناً بل هي ضرب من المعانقة الروحانية للعالم مثلاً عبر عن ذلك "مايار R.Meyer" إنها حس مؤسس لنوع من الحضور الغامض، شيء يتجاوز الحدود المعتادة للتجربة الإنسانية. وإذا كانت تجربة المقدس مرتبطة بالقدرة الرمزية للإنسان والتي جعلت اللغة والفن وكل الرؤى الأخرى ممكناً، فإن كل تراجع للفكر الديني قد يؤدي إلى تراجع قدرة الإنسان على تجربة المقدس وإذا كان فرويد يدين الصبيانية فهل أن تجاوز القلق الطفولي هو أمر هين؟ السنا دائماً ذلك الطفل القلق الباحث عن وهم يعزيه؟ فالوهم الديني يبدو دائماً ذا مستقبل زاهر شيئاً أم أبينا، ففي مقابل ما يقدم الوهم الديني من تعزية للإنسان يجب على العقلانية التي تبناها فرويد أن تعرف بضعفها إن لم نقل بعدم قدرتها.

وهكذا نتبين أن الفكر المنطقي الفرويدي قد أحال العالم الرمزي للرؤية الدينية إلى العالم البدائي، إلى عالم الأطفال والشعراء بل إلى عالم المجانين والمرضى نافياً بذلك كل وظيفة إيجابية على الدين الذي غداً في منظوره السيكولوجي عصابة جماعياً في حين كان من باب الموضوعية على الأقل أخذ المقاربة السمبلولوجية بعين الاعتبار حتى نتعرف بالوظيفة الروحية كوظيفة أساسية يضطلع بها الدين، خاصة وأن النظر في الدين كنظام رمزي يمكننا لا فقط من فهم الظاهرة الدينية بل أيضاً كيفية استعمال الفكر العقلاني والفكر الإنساني بصورة عامة من جهة كون الفكر يتشكل بفضل الوظائف الرمزية التي ينتجهما الإنسان مثلاً أكد ذلك كاسيرار.<sup>(٢)</sup>